المحاضرة الثالثة عشر

قصة بينوكيو

الفصل الرابع والثلاثون

بينوكيو تأكله سمكة ويصبح تمثالا كما كان من قبل . وبينما هو يسبح لإنقاذ نفسه يبتلعه كلب البحر

بعد أن ظل بينوكيو تحت الماء لقرابة الساعة ، قال الرجل الذى اشتراه لنفسه بصوت عالٍ :

– « إن حمارى الأعرج الصغير المسكين لابد وأنه غرق تمامًا الآن ، سوف أجره إذن من الماء وأصنع طبلة جيدة من جلده »

بدأ فى سحب الحبل الذى كان مربوطًا فى رجل الحمار وسحب وسحب ، وفى النهاية بدلاً من أن يظهر الحمار الصغير ظهر تمثالاً حيًا يتلوى كالثعبان .

عند رؤيته للتمثال الخشبى ، ظن الرجل المسكين أنه يحلم ، وأذهلته الدهشة فظل لدقائق فاغرًا فاه ولعابه يسيل منه بغزارة . عندما أفاق قليلا من هول المفاجأة قال بصوت مرتعش :

– « والحمار الصغير الذى قذفته فى البحر ؟ ماذا جرى له ؟»

تكلم بينوكيو ورد قائلاً :

totayah☺

– « أنا الحمار الصغير »

– « أنت ؟»

– « أنا »

– « آه ، أيها الوغد الصغير ! كيف تجرؤ على أن تسخر منى ؟»

– « أسخر منك ؟ على العكس تمامًا ، يا سيدى العزيز ، أنا أتكلم بجدية »

– « ولكن كيف استطعت أنت الذى كنت منذ قليل حمارًا صغيرًا أن تصبح تمثالاً خشبيا لمجرد أن نزلت فى الماء ؟»

– « لابد وأنه أثر ماء البحر ؛ فالبحر يؤدى إلى تحولات غريبة »

– « حذار أيها التمثال ، لا تظن أن باستطاعتك السخرية منى . الويل لك إذا فقدت صبرى »

– « حسن يا سيدى ، هل ترغب فى معرفة القصة الحقيقية ؟ إذا أطلقت رجلى من الحبل سوف أحكيها لك ؟»

كان الرجل الطيب مشتاق لسماع القصة الحقيقية فقام فى الحال بفك الحبل الذى يربطه به ، وعندما وجد بينوكيو نفسه حرًا كطير فى السماء قال :

– « لابد وأن تعرف أننى كنت تمثالاً كما أنا الآن ، وكنت على وشك أن أصبح ولدًا مثل الكثيرين من الأولاد فى هذا العالم . ولكن بدلاً

totayah☺

من ذلك ، ونتيجة لكراهيتى للدراسة ولسماعى نصيحة رفاق السوء ، هربت من البيت . وذات يوم عندما استيقظت وجدت أننى قد تحولت إلى حمار بأذنين طويلتين وذيل طويل. وكم كانت مهانة لى يا سيدى العزيز ، مهانة كبيره لا يقدر على فعلها إلا القديسين .

بعدها أخذت إلى السوق لأُباع ، واشترانى مدير فرقة حيوانات السيرك ، وأصر على أن يجعلنى أرقص ، وأقفز عبر الأطواق . وفى إحدى ليالى العرض ، سقطت على قدمى وأصبحت أعرج . عندها لم يعرف صاحب السيرك ماذا يفعل بحمار أعرج ، فأرسلنى لكى أباع وكنت أنت المشترى »

– « صحيح جداً ! وقد دفعت عشرين بنسًا فيك . فمن سيعطينى نقودى إذن ؟»

– « ولماذا اشتريتنى ؟ لقد اشتريتنى لتصنع طبلة من جلدى . أليس كذلك ؟ »

– « هذا صحيح ، والآن أين سأجد من آخذ جلده لصنع طبلتى ؟»

– « لا تيأس يا سيدى . يوجد العديد من الحُمر الصغيرة فى العالم »

– « قل لى أيها الوغد : هل انتهت قصتك هنا ؟»

– « لا » أجاب التمثال : « عندى كلمتان لأقولهما وبعدها أكون قد انتهيت . بعد أن اشتريتنى أتيت بى إلى هذا المكان لتقتلنى ، ولكنك

totayah☺

استجبت لمشاعر الرحمة وفضلت أن تربط حجراً حول عنقى وتقذف بى إلى البحر ، هذه المشاعر الإنسانية تضفى عليك شرفًا عظيمًا ، وسوف أظل مدينًا لك نتيجة لذلك . ولكنك لم تقدّر ماذا يمكن أن تفعله الجنية »

– « ومن تكون هذه الجنيّة »

– « إنها أمى ، وتشبه كل الأمهات الطيبات الأخريات اللاتى يراقبن أطفالهن ولا يغبن عن أنظارهن ويساعدوهن بحب حتى لو كان سلوكهم شريراً نتيجة غبائهم ويستحقون الإهمال . وما إن رأتنى الجنيّة الطيبة على وشك الغرق ، حتى أرسلت سرباً ضخماً من الأسماك التى اعتقدت أننى حقًا حمار صغير ميت وبدأت فى أكلى . ولكم التهمت منى ! لم أكن أعرف أن السمك نهم أكثر من الأولاد : بعضهم أكل أذنى ، وبعضهم أكل اللجام ، والبعض الآخر أكل رقبتى ورأسى ، والبعض أكل رجلىّ وجلدى وكانت بينهم سمكة صغيرة مهذبة لم تأكل سوى ذيلى »

– « أقسم إننى لن ألمس السمك أبدًا . سوف يكون من المخيف أن أفتح سمكة بورى أو بياض فأجد داخلها ذيل حمار »

– « أوافقك الرأى ، لكن يجب أن أخبرك أنه عندما انتهت الأسماك من أكل جسم الحمار الذى كان يحتوينى من الرأس إلى القدم ، وصلوا بالطبع إلى العظام أو بالأحرى إلى الخشب ؛ حيث – كما ترى – أنا مصنوع من أصلب الأخشاب . ولكن بعد عدة قضمات اكتشفوا فى الحال أننى لست لقمة سائغة لأسنانهم ، فأصابهم القرف من هذا الطعام الغير قابل للهضم وتركونى وذهبوا : بعضهم ذهب فى

totayah☺

اتجاه والباقى فى الاتجاه الآخر دون حتى أن يشكرونى . وعندما جررت أنت الحبل وجدت تمثالاً حيًا بدلاً من حمار ميت »

– « إننى أضحك من قصتك » صاح الرجل غاضبًا : « أنا أعرف فقط أننى دفعت عشرين بنسًا لشرائك ، وأننى لابد وأن أحصل على ما دفعته . هل تعرف ماذا سأفعل ؟ سوف آخذك إلى السوق وأبيعك بالرطل كخشب لإشعال النار »

– « إذا كنت تريد ذلك ، أنا راض » قال بينوكيو . ولكنه بعد أن قال ذلك قفز قفزة هائلة أوصلته إلى البحر وسبح بعيداً عن الشاطئ ثم نادى على الرجل قائلاً :

– « إلى اللقاء يا سيدى . إذا احتجت إلى جلد لعمل طبلة ، تذكرنى » وبعد هنيهة عاد وصاح مرة أخرى :

– « إلى اللقاء يا سيدى . إذا احتجت إلى خشب جيد لإشعال نار ، تذكرنى »

وفى لمح البصر سبح بعيداً جداً حتى لم يعد ظاهراً للعيان . كل ما كان يظهر منه بقعة صغيرة سوداء على سطح البحر ترفع رجليها من وقت لآخر خارج الماء وتقفز وتنط كالدرفيل الذى يستمتع باللعب .

بينما كان بينوكيو يسبح ولا يعرف لأين ، رأى وسط البحر صخرة من الرخام وعلى قمتها وقفت معزة صغيرة جميلة تشير إليه بالاقتراب .

كان شعر المعزة الصغيرة أزرق ، وكانت زرقته رائعة وتشبه شعر الطفلة الجميلة .

totayah☺

تسارعت دقات قلب بينوكيو وسبح بقوة مضاعفة وحماس تجاه الصخرة البيضاء ، وحينما كان فى منتصف الطريق رأى رأس أحد وحوش البحر يخرج فوق الماء ويقترب منه . كان فمه المخيف مفتوحًا على مصراعيه وأسنانه الضخمة تصيب بالخوف عند النظر إليها ولو كانت فى صورة .

لم يكن الوحش البحرى سوى كلب البحر المهول الذى لا يشبع .

أصاب بينوكيو المسكين رعبًا شديداً عند رؤيته للوحش وحاول تجنبه بتغيير اتجاهه ، ولكن الفم الضخم المفتوح على اتساعه جاء نحوه بسرعة السهم .

- « أسرع يا بينوكيو » صاحت المعزة الجميلة الصغيرة وهى تمأمئ. سبح بينوكيو بقوه هائلة - بذراعيه وصدره ورجليه وقدميه تدفعه كلمات المعزة الجميلة وهى تحذره :

- « أسرع يا بينوكيو ، الوحش يقترب منك »

سبح بينوكيو أسرع وأسرع وجاهد ليصل إلى الصخرة . وما إن اقترب من المعزة الصغيرة حتى مالت المعزة قليلاً فى اتجاه البحر ، ومدت رجليها الأماميتين لتساعده على الخروج من الماء ، ولكن كان الأوان قد فات ، فقد لحق به الوحش ، والتقطه داخل فمه كما لو كان يلتقط سمكة صغيرة ، ثم ابتلعه بعنف وقسوة لدرجة أن بينوكيو عندما سقط فى جوف كلب البحر سقط كالحجر وفقد وعيه .

totayah☺

عندما عاد لوعيه لم يكن يعرف فى أى عالم هو . كل ما حوله كان مظلمًا ، وكان الظلام أسود وشاملاً حتى بدا له أنه قد سقط برأسه فى زجاجة مليئة بالحبر . أرهف سمعه لبضع ثوان ، ولكنه لم يسمع أى صوت سوى صوت هفهات الريح التى كانت تضرب وجهه . فى البداية لم يعرف من أين تأتى الريح ، ولكنه اكتشف أنها تأتى من رئتى الوحش ؛ فهو عندما يتنفس فكأنما تهب رياح الشمال .

حاول بينوكيو فى البداية أن يظل رابط الجأش ، ولكن عندما أدرك بأنه قد أصبح محبوسًا فى جوف وحش البحر بدأ فى البكاء والصراخ والنحيب :

– « النجدة ، النجدة ، هل يأتى أحد وينقذنى ؟»

– « من تعتقد أن بإمكانه إنقاذك ، أيها البائس الصغير ؟»

صاح صوت فى الظلام كصوت الجيتار :

– « من الذى يتكلم ؟» سأل بينوكيو وقد تجمد من الخوف :

– « إنه أنا ، سمكة التونة المسكينة التى ابتلعها كلب البحر عندما ابتلعك ، هل تسمح وتقول لى من أى نوع من السمك أنت ؟ »

– « أنا لا أشترك مع السمك فى شىء . أنا تمثال »

– « إذا لم تكن سمكة ، لماذا ابتلعك الوحش ؟»

– « لا أعرف بالضبط ! الوحش هو الذى ابتلعنى فاسألِيه » تنهد بعدها قائلاً :

totayah☺

– « لكن ماذا نحن فاعلان فى هذا الظلام الكئيب ؟»

– « لن نفعل شيئًا سننتظر كلب البحر ليهضمنا نحن الاثنين »

– « ولكنى لا أريد أن أهضم » صاح بينوكيو باكيًا ..

– « ولا أنا أريد أن أهضم » أضافت سمكة التونة « ولكنى فيلسوفة وأعزى نفسى بالتفكير فى أنه عندما نخرج للحياة كأسماك تونة فمن العزة أن نموت فى الماء لا فى الزيت »

– « هذا كلام فارغ » صاح بينوكيو .

– « هذا رأيى » أجابت التونة « والآراء التى تقولها أسماك التونة ، يجب احترامها » .

– « اختصاراً لكل هذا ... أريد الخروج من هنا .. أريد الهرب »

– « اهرب إذا كنت تستطيع »

– « هل كلب البحر الذى ابتلعنا شديد الضخامة ؟»

– « إن جسمه بطول ميلين دون الذيل »

وبينما هما يتحاوران فى الظلام ، خيل لبينوكيو أنه قد رأى ضوءًا بعيدًا .

– « ما هذا الضوء الخافت الذى أراه على بعد ؟»

– « من المرجح جدًا أنه رفيق لنا ينتظر هضمه »

totayah☺

– « سأذهب لأرى ، ربما تكون سمكة عجوز تستطيع أن ترشدنا لكيفية الهرب »

– « آمل أن تكون كذلك أيها التمثال العزيز »

– « إلى اللقاء أيتها التونة »

– « إلى اللقاء أيها التمثال وحظ سعيد »

– « أين سنتقابل ثانية ؟»

– « من يدرى ؟ من الأفضل ألا تفكر فى ذلك »

totayah☺

الفصل الخامس والثلاثون

بينوكيو يجد فى بطن كلب البحر ... ما الذى وجده ؟!
اقرأ هذا الفصل وسوف تعرف

بعد أن ترك بنيوكيو صديقته التونة ، بدأ يتحسس طريقه فى الظلام فى جوف كلب البحر ، آخذًا فى كل مرة خطوة فى اتجاه الضوء الذى رآه يشع على مسافة بعيدة . كان كلما تقدم كلما صار الضوء أكثر وضوحًا فسار وسار حتى وصل إليه فى النهاية ، وعندما وصل إليه وجد منضدة مفروشة وعليها شمعة مضاءة داخل زجاجة خضراء ويجلس إلى المنضدة رجل قصير عجوز . كان يأكل سمكًا حيًا ، وكان السمك يقفز أحيانًا من فمه وهو يأكله .

عندما شاهد هذا المنظر امتلأ قلبه بفرحة عظيمة فكان يضحك تارة ويبكى تارة أخرى ، وكان يريد أن يقول آلاف الأشياء ، ولكنه استطاع فقط أن ينبس بكلمات قليلة مرتبكة ومتلعثمة ، ثم أطلق صرخة الفرح وفتح ذراعيه وألقاهما حول عنق الرجل العجوز هاتفًا :

– « آه ، يا أبى العزيز ، لقد وجدتك أخيرًا ! لن اتركك ثانية أبدًا ، أبدًا ، أبدًا »

totayah☺

– « هل ما تراه عينى حقيقى ؟» قال العجوز فاتحًا عينيه « أأنت حقًا عزيزى بينوكيو ؟»

– « نعم ، نعم ، أنا بينـوكيو ، بينـوكيو حقًا ، وأنت قد سامحتنى أليس كذلك ؟ آه يا أبى العزيز، كم أنت طيب ، وعندما أتذكر أنى كنت على النقيض منك أتألم كثيرًا ، آه لو عرفت المصائب التى انهالت على رأسى ، تصور أنه فى اليـوم الذى بعت فيـه يا أبى العـزيز مـعطفك لتشترى لى كتاب حروف الهجاء لأذهب به للمدرسة ، هربت لكى أرى عرض العرائس ، وكاد مدير العرض أن يضعنى فى النار لكى يشوى اللحم ، وكان هو من أعطانى بعد ذلك القطع الذهبية الخمس لأعطيها لك ، ولكنى قابلت الثعلب والقطة اللذين أخذانى إلى حانة جراد البحر الأحمر ؛ حيث أكل المحتالان الصغيران وتركانى فى منتصف الليل ، ثم قابلت المخادعين اللذين طاردانى وفررت منهما وتبعانى إلى أن شنقانى على فرع شجرة البلوط الكبيرة ، ثم أرسلت الطفلة الجميلة ذات الشعر الأزرق عربة صغيرة لتأخذنى ، وعندما رأنى الأطباء قالوا فى الحال «إذا لم يكن ميتًا، فهذا دليل على أنه حى » ؛ وعندئذ كذبت كذبة صغيرة وبدأت أنفى تكبر وتكبر حتى إننى لم أستطع فى النهاية الخروج من الباب ؛ لهذا ذهبت مع الثعلب والقطة لدفن القطع الذهبية الأربع ؛ لأنى أنفقت واحدة فى الحانة ، وسخر الببغاء منى وبدلا من الألفى قطعة ذهبية لم أجد شيئًا ؛ لهذا عندما سمع القاضى أن القطع الذهبية قد سرقت منى أرسلنى فى الحال إلى السجن ، وعندما شعرت بالجوع كنت رأيت عنقود عنب جميل فى الحقل وذهبت لآخذه فوقعت فى

totayah☺

فخ ، ووضع الفلاح حول رقبتى طوق كلب لأحرس له مزرعة الدجاج، وبعدما تبينت له براءتى أطلق سراحى ، ثم بدأ الثعبان ذو الذيل الذى يدخن فى الضحك بشدة ، مما أدى إلى موته ، فرجعت إلى بيت الطفلة الجميلة التى كانت ميتة . وعندما رأت الحمامة أننى أبكى قالت لى : «لقد رأيت أباك يبنى قاربًا صغيرًا ليذهب بحثًا عنك » وقلت لها .. آه ، لو كانت لى أجنحة فسألتنى « هل تريد الذهاب لأبيك ؟ » قلت : دون شك ، ولكن من سيأخذنى إليه ؟ فقالت : أنا سآخذك إليه ، فقلت « كيف » فقالت لى « اركب على ظهرى » وطرنا طوال الليل وفى الصباح قال لى كل الصيادين الذين كانوا بالبحر « هناك رجل مسكين فى قارب على وشك الغرق ، وتعرفت عليك فى التو حتى وأنت على بعد ، وأشرت إليك لتعود إلى الشاطئ ..»

– « أنا أيضًا تعرفت عليك » قال چيبتيو « وكنت سأعود بالفعل إلى الشاطئ ، ولكن ماذا كان بيدى لأفعله ؟ كان البحر هائجًا ، وقلبت موجة عظيمة القارب ، ثم جاء كلب البحر الرهيب وما إن رآنى فى الماء حتى أخرج لسانه وأمسك بى وابتلعنى كما لو كنت قطعة من التورتة »

– « ومنذ متى أنت هنا ؟» سأل بينوكيو ..

– « منذ ذلك اليوم لابد وأنها سنتين يا عزيزى بينوكيو ، مرتا وكأنهما قرنان من الزمان »

– « وكيف أمكنك البقاء حيًا ؟ ومن أين أتيت بالشمعة ، والثقاب لتوقدها ؟ من أعطاك كل ذلك يا أبى ؟»

totayah☺

– « سأخبرك بكل شيء ، يجب أن تعرف أنه فى الوقت نفسه الذى قلبت فيه قاربى ، تحطمت سفينة تجارية ، ولكن تم إنقاذ كل البحارة رغم أن السفينة غرقت واستقرت فى الأعماق ، وكان كلب البحر فى ذلك اليوم مفتوح الشهية ؛ فبعد أن ابتلعنى ابتلع السفينة أيضاً »

– « كيف ؟»

– « ابتلعها فى لحظة واحدة ، والشيء الوحيد الذى لفظه كان الشراع الرئيسى ؛ لأنه انحشر بين أسنانه كشوكة سمكة . ولحسن حظى كانت السفينة محملة باللحم المحفوظ والبسكويت وزجاجات الشراب والزبيب المجفف والجبن والقهوة والسكر والشمع وعلب الكبريت . بهذه المؤونة أمكننى العيش لسنتين ولكن المؤن نفدت كلها ، ولم يعد هناك شيءٌ باقٍ ، وهذه الشمعة التى تراها تحترق هى آخر ما تبقى ....»

– « وماذا سيحدث بعد ذلك ؟»

– « بعد ذلك يا ولدى العزيز ، سنبقى كلانا فى الظلام »

– « إذن ليس لدينا وقت لإضاعته لابد من التفكير فى الهرب »

– « فى الهرب ؟ ... وكيف ؟»

– « لابد من نهرب عبر فم كلب البحر ، نقذف بأنفسنا إلى البحر ونعوم بعيداً »

– « أنت تتكلم جيداً ولكن يا عزيزى بينوكيو ، أنا لا أعرف العوم »

totayah☺

– « وما أهمية ذلك ، أنا سباح ماهر ويمكنك الركوب على كتفى وسوف أحملك بأمان إلى الشاطئ »

– « كلها خيالات ، يا ولدى » رد چيبتيو هازًا رأسه بابتسامة يائسة « هل تعتقد أنه من الممكن لتمثال مثلك لا يتعدى طوله المتر أن تكون له القوة ليسبح وأنا فوق كتفيه ؟ »

– « جرب وسوف ترى »

ودون أن يضيف كلمة أخرى أخذ بينوكيو الشمعة فى يده وسار فى المقدمة لينير الطريق وقال لأبيه :

– « اتبعنى ولا تخف »

سار الاثنان لبعض الوقت داخل معدة كلب البحر ، ولكنهما عندما وصلا إلى النقطة التى يبدأ عندها بلعومه أحسا أنه من الأفضل أن يتوقفا لينظرا حولهما جيدًا ويختارا أفضل لحظة للهروب .

ولأن كلب البحر كان عجوزًا جدًا ، ويعانى من ضيق التنفس وسرعة ضربات القلب ، كان مجبرًا على النوم وفمه مفتوح . وبالتالى عندما اقترب بينوكيو من مدخل بلعومه ونظر لأعلى ، كان يمكنه أن يرى السماء وضوء القمر البديعين .

– « هذه هى لحظة الهروب » همس ملتفتًا نحو أبيه « كلب البحر نائم يشخر والبحر هادئ والكون مضئ وكأنه الصبح . اتبعنى يا أبى العزيز، وفى وقت قصير سنكون فى أمان »

totayah☺

تسلقا فى الحال بلعوم وحش البحر وعندما وصلا إلى فمه الواسع بدأ فى السير على أطراف أصابعهما فوق لسانه ، وقبل أن يقوما بالقفزة النهائية قال التمثال لأبيه :

– « اركب على كتفىّ وضع ذراعيك حول عنقى بقوة وسأعتنى بالباقى »

وما إن أصبح چيبتيو مستوياً على كتفى ابنه قفز بينوكيو الذى كان واثقًا من نفسه إلى الماء وبدأ فى السباحة . كان البحر هادئًا ، والقمر يضئ بروعة ، وكلب البحر نائم بعمق لدرجة أن المدافع كانت تفشل فى إيقاظه .

totayah☺

الفصل السادس والثلاثون

أخيرًا بينوكيو لم يعد تمثالاً ، ويصبح ولدًا

بينما كان بينوكيو يسبح بسرعة تجاه الشاطئ اكتشف أن أباه الذى كان قابعًا على كتفيه ورجليه فى الماء يرتعد بعنف ، كما لو أن الرجل المسكين مصاب بالحمى ، لم يكن يعرف ما إذا كان يرتعد من الحمى أو من الخوف ؟ ربما من كليهما . ولكن بينوكيو الذى اعتقد أنه الخوف قال ليطمئن أباه :

– « تشجع يا أبى ، فى دقائق قليلة سوف تكون على الشاطئ »

– « ولكن أين الشاطئ المبارك ؟» سأل الرجل العجوز وقد أصبح خائفًا أكثر وأكثر ، ثم رفع رأسه ونظر لأعلى قائلاً : « لقد نظرت فى كل اتجاه ولم أر سوى السماء والبحر »

– « ولكنى أرى الشاطئ أيضًا » يجب أن تعرف أننى كالقطة ، أرى فى الليل أفضل من النهار »

totayah☺

كان بينوكيو المسكين يتظاهر بأن معنوياته مرتفع ، ولكن فى الحقيقة كان قد بدأ فى الإحساس بالإخفاق وخانته قوته ، كان يتنفس بصعوبة ، ولم يعد باستطاعته عمل أى شىء آخر، والشاطئ كان لا يزال بعيداً .

سبح حتى استنفذ أنفاسه ، ثم أدار رأسه لچيبتيو وقال بكلمات متقطعة :

– « أبى .. ساعدنى .. إننى أموت »

كان الأب والابن على وشك الغرق عندما سمعا صوتًا كالچيتار يقـــول :

– « من هذا الذى يموت ؟»

– « إنه أنا ، وأبى المسكين »

– « أنا أعرف هذا الصوت ، أنت بينوكيو !»

– « تمامًا ، وأنت ؟»

– « أنا سمكة التونة ، كنت معك فى السجن ببطن كلب البحر »

– « وكيف استطعت الهرب »

– « فعلت مثلك وسلكت الطريق نفسها »

– « أيتها التونة ، لقد وصلت فى اللحظة المناسبة ، أستحلفك بالله أن تساعدينا وإلا غرقنا »

totayah☺

– « على الرحب والسعة ، أنا مستعدة ، يجب أن يمسك كلاكما بذيلى وسوف آخذكما إلى الشاطئ فى دقائق قليلة »

تنفس كل من چيبتيو وبينوكيو الصعداء ، ولكن بدلاً من أن يمسكا بالذيل فكرا فى أنه سيكون من الأفضل أن يركبا على ظهر سمكة التونة ، وفى لحظات كانا يستقران فوقها .

بعد أن وصلا إلى الشاطئ ، قفز بينوكيو إلى الأرض أولاً لكى يساعد أباه على النزول ، ثم التفت إلى سمكة التونة وقال لها بصوت غلبه التأثر .

– « يا صديقتى ، لقد أنقذت حياة أبى ، لا أجد كلمات مناسبه لأشكرك بها ، فاسمحى لى على الأقل أن أعطيك قبلة كدليل على عرفانى بالجميل إلى الأبد » .

أخرجت السمكة رأسها من الماء وركع بينوكيو على الأرض وقبَّلها برقة فى فمها ، ولأن سمكة التونة لم تعتد على تلك المشاعر الدافئة أحست بالخجل ، ولأنها خشيت أن يروها وهى تبكى كالطفل ؛ اندفعت تحت الماء واختفت .

فى ذلك الوقت كان الفجر قد حل ، مد بينوكيو ذراعه لچيبتيو ؛ الذى كان يحاول الوقوف بصعوبة وقال له :

– « اعتمد على ذراعى يا أبى العزيز ودعنا نذهب ، سوف نمشى ببطء مثل النمل وعندما نتعب يمكننا أن نرتاح على جانب الطريق .

totayah☺

– « وأين سنذهب ؟» سأل چيبتيو :

– « سنبحث عن منزل أو كوخ ونسأل أهله بعض الخبز إحسانًا ، وبعض القش لننام عليه »

ولم يكادا يسيرا مائتى متر حتى رأيا بجانب الطريق شخصين يبدوان كالمتشردين ويتسولان . كانا الثعلب والقطة ، ولكن كان من الصعب التعرف عليهما . فالقطة التى كانت تدعى العمى أصبحت بالفعل عمياء والثعلب أصبح عجوزًا وأصاب الشلل جانبه ولم يعد له ذيل ، فهو بعد أن سقط فى البؤس الشديد ، اضطر إلى بيع ذيله الجميل لبائع متجول ، اشتراه لكى يستخدمه كمنشة لإبعاد الذباب .

– « آه ، بينوكيو » صاح الثعلب « هات حسنة صغيرة لاثنين من المساكين المرضى »

– « المساكين المرضى » رددت القطة .

– « اغربا عن وجهى أيها اللصان ، لقد خدعتمانى مرة ، ولكنكما لن تخدعانى ثانية »

– « صدقنى يا بينوكيو ، إننا الآن فقيران وحظنا سيئ بالفعل »

– « إذا كنتما فقيران فأنتما تستحقان ذلك ، فالمال المسروق لا ينفع صاحبه .. اغربا عن وجهى وأفسحا لنا الطريق .. »

بعد أن قال بينوكيو ذلك ، تابع هو وچيبتيو طريقهما فى سلام وبعد أن سارا لمسافة مائة متر أخرى وعند نهاية طريق رأيا وسط الحقول كوخًا لطيفا صغيرًا من القش وله سقف من الطوب .

totayah☺

– « هذا الكوخ لابد وأن يكون مأهولاً ، دعنا نذهب ونطرق الباب »

ذهب الاثنان إلى الكوخ وطرقا الباب .

– « من بالباب ؟» صاح صوت من الداخل .

– « نحن أب وابن فقراء بلا طعام ولا مأوى » صاح بينوكيو .

– « أديرا المفتاح وسوف يفتح الباب » رد الصوت نفسه .

أدار بينوكيو المفتاح وفتح الباب ودخلا ناظرين هنا وهناك وفى كل مكان ، ولكنهما لم يريا أحدًا .

– « أين سيد المنزل ؟ » صاح بينوكيو مندهشًا !

– « أنا هنا بأعلى »

نظر الأب والابن فى التـو إلى أعلى وفى الضـوء الخـافت رأيا الصرصار المتكلم .

– « يا صرصارى المتكلم الصغير العزيز » قال بينوكيو منحنيًا تجاهه بأدب .

– « آه ، الآن تدعونى الصرصار الصغير العزيز ، هل تذكر ذلك اليوم الذى قذفت فيه بيد المطرقة نحوى لطردى من بيتك ؟»

– « معك حق أيها الصرصار اطردنى أنت أيضًا ، اقذفنى بيد المطرقة ، ولكن أشفق على أبى المسكين »

totayah☺

– « سـأشـفق على كل من الأب والابن ، ولكنى أريد أن أذكِّـرك بالمعـاملة السيئة التى لحقـتنى منك وأعلمك أنه يجب أن نظهر المجـاملة للناس عندما يكون ذلك ممكنًا ، حتى يمدوا لنا أيديهم عند الحاجة »

– « معك حق أيها الصرصار ، وسوف أتذكر الدرس الذى أعطيته لى ، ولكن كيف استطعت شراء هدا الكوخ الجميل ؟»

– « هذا الكوخ منحته لى معزة صوفها أزرق اللون جميل »

– « وأين ذهبت المعزة ؟» سأله بينوكيو بفضول .

– « لا أعرف »

– « ومتى ستأتى ؟»

– « لن تأتى أبدًا . لقد ذهبت أمس وفى قلبها حسرة عظيمة ، كان الحـزن يمـلأها وتـردد « مسكين بينوكيـو لن أسـتطيع رؤيتـه ثانيـة ، أغلب الظن أن كلب البحر قد التهمه »

– « هل قـالت ذلك حقًـا ؟ .. إذن لقـد كـانت هى ! لقـد كـانت هى عزيزتى الجنية الصغيرة » قال بينوكيو وهى يبكى وينتحب .

بعد أن بكى لبعض الوقت جفف عينيه وأعد فراشًا مريحًا من القش لچيبتيو لكى ينام ، ثم سأل الصرصار :

– « قل لى أيها الصرصـار الصـغير أين يمكننى أن أجد كوبًا من اللبن لأبى المسكين ؟»

totayah☺

– « على بعد ثلاثة حقول من هنا يعيش بستانى يدعى جيانجيو يربى الأبقار ، اذهب إليه سوف تجد اللبن الذى تحتاجه »

جرى بينوكيو إلى بيت جيانجيو وسأله أن يعطيه بعض اللبن ، هز جيانجيو رأسه وقال له :

– « كم من اللبن تريد ؟ »

– « أريد كوبًا »

– « كوب اللبن بكلفك نصف بنس »

– « ليست معى نقود » أجاب بينوكيو بحسرة وألم .

– « هذا أمر سيئ أيها التمثال ، إذا لم يكن معك نقـود فليس لك عندى نقطة من اللبن »

– « إذن لا جدوى من بقائى هنا » قال بينوكيو متأهبًا للانصراف .

– « انتظر قليلاً يمكننا الوصول إلى اتفاق معًا ، هل ترى الطلمبة ؟»

– « نعم .. »

– « حسن إذن ، إذا استطعت أن تملأ مائة جردل من الماء سوف أعطيك كوبًا من اللبن فى المقابل »

– « وأنا موافق »

قاد چيانچيو بينوكيو إلى حديقة المطبخ وعلَّمه كيف يقوم بتشغيل الطلمبة . بدأ بينوكيو العمل مباشرة ، ولكن قبل أن يكمل مائة جردل كان العرق يغمره من رأسه إلى قدمه ، لم يشعر بهذا الإعياء أبدًا من قبل .

totayah☺

– « حتى اليوم كان العمل اللازم لتشغيل الطلمبة يقوم به حمارى الصغير ، ولكن الحيوان المسكين يموت الآن » قال البستانى ..

– « هل تأخذنى لرؤيته ؟» قال بينوكيو .

– « بكل سرور »

عندما دخل بينوكيو الإسطبل رأى حمارًا صغيرًا جميلاً ممددًا على القش وهو منهمك من الجوع وبدا هزيلاً شاحبًا من كثرة العمل . بعد أن نظر إليه بتمعن قال لنفسه وهو منزعج :

– « أنا متأكد من أننى أعرف هذا الحمار الصغير ! وجهه ليس غريبًا » ثم انحنى فوقه وسأله :

– « من أنت »

فتح الحمار الصغير عينيه وأجاب بكلمات متكسرة

– « أنا ... فتيل .. الشمعة ...»

ثم أغلق عينيه ثانية ومات .

– « آه ، فتيل الشمعة المسكين » صاح بينوكيو بصوت خفيض وأخذ حفنة من القش جفف بها دمعة كانت تسقط على وجهه .

– « هل تحزن على حمار لم يكلفك شيئًا ؟ فماذا يكون حالى وأنا اشتريته بمالى ؟»

– « لابد أن أقول لك إنه كان صديقى »

totayah☺

– « صديقك ؟» .. صاح البستانى بدهشة .

– « نعم .. كان أحد رفاق المدرسة »

– « كيف ؟» صاح چيانچيو ضاحكًا بصوت عال « هل لديكم حمير فى المدرسة ؟ ما هى الدراسة البديعة التى تتعلمونها ؟»

شعر بينوكيو بالخجل ولم يجب ، ولكنه أخذ كوب اللبن وهو لا يزال دافئًا وعاد إلى الكوخ .

منذ ذلك اليوم ولأكثر من خمسة شهور استمر فى القيام بالعمل نفسه عند فجر كل يوم ، يذهب لتشغيل الطلمبة ويحصل على كوب اللبن الذى كان مفيدًا لأبيه المريض . لم يقنع فقط بذلك ، فخلال الوقت الذى كان يقضيه بجوار جيبتيو ، تعلم صنع الأسبتة والسلال وبالمال الذى كان يكسبه من بيعها كان يمكنه أن يغطى مصاريفه اليومية . ومن بين الأشياء الأخرى تعلم صنع كرسى بعجل رائع كان يأخذ به أباه إلى خارج البيت فى الأيام المشمسه ليستمتع بالهواء النقى .

بهذه الحرف والابتكارات والشغف بالعمل لم يتجاوز المصاعب فحسب بل أفلح فى الحفاظ على إعجاب أبيه به – وإن كان قد ظل مريضًا – كما أنه استطاع أن يدخر أربعين بنسًا ليشترى لنفسه معطفًا جديدًا .

– « سنذهب إلى السوق المجاورة لأشترى لنفسى سترة ، وقلنسوة ، وزوج من الأحذية وعندما أعود سوف أكون أنيق الملبس لدرجة أنك لن تعرف من أنا » . قال بينوكيو لچيبتيو .

totayah☺

ترك بينوكو المنزل وجرى بمرح عبر الطريق وفجأة سمع من يناديه باسمه ؛ فالتفت ورأى قوقعة ضخمة تزحف خارجة من السياج .

– « ألا تعرفنى ؟» سألت القوقعة .

– « يبدو لى ... وإن لم أكن متأكداً ...»

– « ألا تتذكر القوقعة التى كانت وصيفة الجنية ذات الشعر الأزرق ؟ ألا تتذكر طول الوقت الذى نزلت فيه لأجعلك تدخل المنزل ، وأمسكت قدمك بباب المنزل ؟»

– « أتذكر كل ذلك » صاح بينوكيو « قولى لى بسرعة ، يا قوقعتى الصغيرة الجميلة أين تركت جنيتى الطيبة ؟ ما الذى تفعله الآن ؟ هل سامحتنى ؟ ألا تزال تذكرنى ؟»

أوقف سيل الأسئلة التى كان يوجهها للقوقعة ليغالب دموعه التى كادت أن تطفر من عينيه ، ثم تنهد وقال :

– « ألا تزال تود لى كل الأمور الطيبة ؟ هل هى بعيدة عن هنا ؟ هل يمكننى الذهاب لرؤيتها ؟»

أجابت القوقعة بأسلوبها الهادئ المعتاد :

– « عزيزى بينوكيو ، إن الجنية المسكينة ترقد الآن بالمستشفى »

– « فى المستشفى ؟»

– « هذا صحيح تماماً فقد أنهكتها آلاف المصائب ، فسقطت مريضة ولا تملك ما تشترى به لنفسها رغيفاً من الخبز »

totayah☺

– « هل هذا صحيح ؟ آه ، ما أشد الألم الذى سببته لها ، آه الجنية المسكينة ، لو كان عندى مليون بنس لكنت أسرعت بتقديمها لها .. ولكن لا املك سوى أربعين بنسًا ، كنت ذاهبًا لأشترى معطفًا جديدًا . خذيها أيتها القوقعة واذهبى بها فى الحال إلى جنيتى الطيبة »

– « وماذا عن معطفك الجديد ؟»

– « ما أهمية معطفى الجديد ؟ إنى لأبيع حتى هذه الخرق التى أرتديها لأستطيع مساعدتها . اذهبى إليها بسرعة أيتها القوقعة ، وعودى فى خلال يومين إلى هذا المكان ، لأنى آمل أن يكون بمقدورى أن أعطيك نقودًا أكثر ، فأنا الآن أعمل لأساعد أبى ، ومن اليوم فصاعدًا سأعمل خمس ساعات إضافية لأساعد أمى الطيبة . إلى اللقاء . سوف أنتظرك بعد يومين »

على عكس عادتها ، أسرعت القوقعة وجرت كالسحلية .

فى تلك الأمسية ، بدلا من أن يذهب بينوكيو للفراش فى العاشرة ، جلس حتى منتصف الليل . وبدلاً من أن يصنع ثمان سلال من الخوص ، صنع ست عشرة . ذهب بعدها إلى الفراش وتمدد نائمًا . وبينما هو نائم اعتقد أنه رأى الجنية مبتسمة وجميلة ، وأنها بعد أن قبَّلته قالت له:

– « أحسنت صنعًا يا بينوكيو ، ولكى أكافئك على قلبك الطيب سوف أسامحك على كل ما فات . إن الأولاد الذين يهتمون بوالديهم ويساعدونهم فى المحن والمرض يستحقون المديح والحب ، حتى لو لم يكونوا على درجة كبيرة من الطاعة والسلوك الطيب . حاول أن تفعل ما هو أفضل فى المستقبل وسوف تكون سعيدًا »

totayah☺

بعد أن انتهى الحلم استيقظ بينوكيو وفتح عينيه ولدهشته اكتشف أنه لم يعد تمثالاً خشبيًا ولكنه أصبح بدلاً من ذلك ولداً كغيره من الأولاد .

أدار بصره حوله فرأى أن الحيطان المصنوعة من القش فى الكوخ قد اختفت ، وأنه فى غرفة جميلة صغيرة مفروشة ببساطة وروعة . قفز من الفراش فوجد ملابس جديدة جاهزة من أجله وقلنسوة جديدة وزوجًا من الأحذية الجلدية التى تناسبه تمامًا .

لم يكد يرتدى ملابسه حتى وضع يده فى جيبه بطريقة تلقائية ، ولدهشته وجد به محفظة صغيرة من العاج مكتوب عليها هذه الكلمات : « الجنية ذات الشعر الأزرق تعيد الأربعين بنسًا إلى عزيزها بينوكيو وتشكره لقلبه الطيب » . فتح المحفظة وبدلاً من الأربعين بنسًا وجد أربعين قطعة من الذهب البراق .

ذهب ونظر إلى نفسه فى المرآة ، فرأى شخصًا آخر . فهو لم يعد يرى انعكاس التمثال الخشبى ، بل رأى بدلاً من ذلك صورة ولد رائع كستنائى الشعر أزرق العينين ، وتبدو عليه السعادة والمرح كما لو كان فى ليلة عيد الميلاد .

وسط كل تلك العجائب المتتالية ، أحس بينوكيو بالاستغراب ولم يكن متأكدًا مما يراه وما إذا كان نائمًا يحلم ، أم إنه يحلم وعيناه مفتوحتان .

– « أين يمكن أن يكون أبى ؟» تساءل فجأة وذهب إلى الغرفة المجاورة فوجد چيبتيو العجوز بحالة طيبة ومرحًا كما كان فى

totayah☺

السابق . كان قد عاد بالفعل إلى صنعته الأولى وهى نحت الخشب ، وكان ينحت إطارًا جميلاً من الزهور والأوراق ورؤوس الحيوانات .

– « أشبع فضولى يا أبى العزيز » قال بينوكيو ملقيًا ذراعيه حول عنقه وهو يغرقه بالقبلات « وقل لى إلى من ترجع كل هذه التغيرات ؟ »

– « هذا التغير المفاجئ فى بيتنا يرجع إلى عملك » أجاب چيبتيو .

– « كيف ذلك؟»

– « لأن الأولاد الذين يوصفون بسوء السلوك عندما يبدأون صفحة جديدة ويصبحون طيبين ، تكون عندهم القدرة على إشاعة الرضا والسعادة فى أسرهم »

– « وأين أخفى بينوكيو الخشبى القديم نفسه ؟ »

– « ها هو » أجاب چيبتيو مشيرًا إلى تمثال كبير يميل على كرسى ورأسه على جانب وذراعاه متدليتان وقدماه منحنيتان ويبدو وكأنه ميت .

استدار بينوكيو ونظر إليه لحظات وقال لنفسه :

– « كم كنت مثيرًا للسخرية عندما كنت تمثالاً ، الآن أنا سعيد أننى أصبحت صبيًا صغيرًا مهذبًا »

totayah☺

totayah☺